



# ضلال العالم أمر ٤٠٤

مباحث فلسفية في الجغرافية الطبيعية

تأليف

الاستاذ الحكيم

الشيخ طنطاوى جوهري

مدرس اللغة العربية بالمدرسة الخديوية

واستاذ الفلسفة بالجامعة المصرية سابقاً

— (حقوق الطبع محفوظة) —

لاداء مجلة الرشديات

طبعة الفنون الجميلة بالكندرية



# ضل العالم أمر ٤، ٤

مباحث فلسفية في الجغرافية الطبيعية

تأليف

الاستاذ المحكم

الشيخ طنطاوي جوهري

مدرس اللغة العربية بالمدرسة الخديوية

وامة الفلسفة بالجامعة المصرية سابقاً

— حقوق الطبع محفوظة —

لإدارة مجلة الرشديات

مطبعة الفنون الجيدة بالاسكندرية

# السيرة الحرة

قامتتنا بعد حمد الله آية اخلاص ننشرها على صحيفة كتاب الحياة .  
وقد كنا ولا أمنية لنا هي أقوم من أن نحيط خبيراً بما حوالينا من  
الكائنات على اختلافها واسترسلنا في مؤاتاه أحاديث النفوس  
وهواجس الخواطر حتى بلغ الامر الجهد ففزعنا الى المدونات نقاب  
بين صفحاتها الكرة بعد الكرة والمرة تتلوها المرة حتى ظفر نابغيتنا  
( اصل العالم ) آية هي احدي الكبر . وقد كان هذا السفر وهو نقشة  
يراع صاحب الفضيلة الاستاذ الحكيم ( الشيخ طنطاوي جوهري )  
أصل هدايتنا في هذا الشأن ومنبع مستقى طمحي به ما اعترانا من  
ظلم الكد سعيًا وراء الوقوف على تلك الحقائق الكونية  
أجاب به منمقه عن أسئلة تردد صداها فيما بين أرجاء مصر لم يقم  
بالاجابة عنها على وجهها الا استاذنا في مجموعة ما دون . والامس بها  
كله وديعة هذا السفر الصغير نشرناه عملا على خير الامة والله الآخذ  
بيدنا والعاملين ما

الناشران

زكريا الصحر رشي (و) محمد كامل البراشي

ناظر المدرسة المصرية مدرس معهد اسكندرية

## سبب وضع الكتاب

في آواخر شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٤ ورد للاستاذ المؤلف وهو  
بالثغر السكندري الخطاب الآتي

فيلسوف الشرق سيدي واستاذي حضرة صاحب الفضيلة العلامة  
الشيخ طنطاوي جوهرى أدامه الله للعلم مصدراً وابنى الانسان كوثر  
(أما بعد) يامولاي . فقد رميت سهام أفكارى عن قوس بحثي وتنقيبي  
فلم يرقها منظر تشديج في أعشاره ولا مطالب تخرج على أوكاره . حتى  
رفع الله عن محيا غادتي المهبوبة النقباب . وصرف عن شمس ضالتي المنشودة  
سحب الضباب . فتمت وما بغير مباحث فضيلتكم ثملت وطربت ولست  
لسوى نظراتكم ونظرياتكم طربت

نعم يامولاي . انى وانا ذكركم الطالب البسيط المكبل بواجب المقورات  
قد سئمت هاتيك الحواشى وتلك المطولات . وربأت بنفسى أن أقطع  
أيامى ما بين (قوله) . (قال) وخلاف وجدال لا طائن تحته ولا ثمرة يرجى  
قطعها من وراثته . تقارب ما ابذله في سبيله اثناء الليل واطراف النهار  
سئمت يامولاي ذلك ومالت فأخذت أروح عن نفسى وأروضها  
بالنظر الى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار . والكواكب  
المشرقات . والشهب الثابتات . والجبال الراسيات . والسحاب وسريانه .  
وماء الانهار وجريانه . او كما قلت فضيلتكم بين جواهر تاجكم المرصع .  
الذي لا أجد فيما أحفظ من الالة العربية آيات بينات توفى حق المديح

وواجب الثناء على تأليفه . والذي يسمو ويحل من أن يتصفح عين مثلي  
فيه بقوله

كتاب كما نهر الحجرة رصعت \* جوانبه بالدر والجوهر الانقي  
هو الشمس الا أن في التاج بهجة \* ويبقى لدى كل الانام ولا تبغى  
وفي الشمس نفع للجهاد . وأنه \* ليسدى الحجب والجسم من نفعه أرقى  
فله ذلك الكتاب ورببه \* فقد رتق الدين الخفيف به رتقا  
( ما تركت فاكهة ولا أيا . ولا نجما ولا شجرا . الا تأملت ألوانها  
الزاهرة . وأشكالها الظاهرة . ومحاسنها الناضرة وروائحها الجميلة )

فكنت يا مولاي أجدني مغبوطا مسرورا . أولا . بتوفيقي لهذا  
المسلك الجميل وهذه العبادة العظمى المطروبة التي هي كما اعتقد مثل عبادة  
الذي صلى الله عليه وسلم . أيام كان يتعبه في غار حراء . ثانيا . لاتباعي جدد  
أستاذ فاضل وسيد سند عظيم خفقت أعلام ذكره وأثرت عرائس فكره  
في المشرقين والمغربين مثل فضيلتكم

ولكني يا مولاي بيننا أنا على ما ذكرت . وإذا بدولاب فكري قد  
وقفت عن دورانه . وانسان ناظري قد زعم وتقهقر بعد امان ولا مرما  
( جلع قصير أنفه ) فاني أولا قد ذكرت الارض وتكورها والانهار  
العظيمة وارتدادها وكيف يصعد الماء على منحني الارض ولا يؤوب الى  
منبئه او ينساب عن اليمين وعن الشمال وهو ذلك الجوهر اللطيف  
السيال الذي ضربت الطبيعة بين ذراته بضر بانها فانفصلت ترى الوثام  
والتماسك بين كل ذرة وأخرى . وأصبحت أعشاره لا تتحد وتحتشد في

حين واحد الا بقوة ضاغطة . حتى انك استراها متى زال وهذا المؤلف  
 يطارد بعضها البعض مطاردة القانص للظباء . ويفر الجزء من الجزء  
 وما زاد في حيرة الا اني نظرت الى مثل نهر (المسيبي) بامريكا الشمالية  
 فوجدت اننا لو مددنا عليه مستقيماً وهمياً من ابد نقطة فيه شمالاً (منبع)  
 الى أقصى نقطة منه جنوباً (مصبه) لمر على ١٦ درجة من خطوط العرض  
 الشمالية أي ٣٣ من محيط الكرة أو ١١٢٠ ميلاً

فهل يعتبر هذا الطول صغيراً بالنسبة للمحيط . كلا . فاننا لو أخذنا  
 البعد بين سنام قوس زاوية تساوي ١٦ درجة ووتره ثم قارناه بالبعد  
 بين ذلك الوتر ومحيط الكرة لوجدنا النهر يرتفع في وسطه عن طرفيه  
 ارتفاعاً عظيماً يزيد عن ٤٥ ميلاً

فاذا قلنا ان الارض اكبرها صارت امام الماء كأنها مسطح مستوي  
 أي ان محيط الارض مركب من مسطحات مستوية كلها تكون دائرة  
 هي المحيط . ينقض قولنا باننا ننظر للحقيقة لا للفرض والتقدير . والحقيقة  
 ان سطح الارض منحني وان الماء يسير فوق المنحني . ومحيط الارض  
 انما هو دائرة والدائرة مكونة من نقط مختلفة الاتجاه لا من مسطحات .  
 واذا قلنا ان حافتي النهر تساعدان الماء على السير في المجرى . يرد  
 بان الماء اول نزوله قبل تكوين هذه الجسور سار ابتداءً في هذا الاتجاه  
 كما نراه . وهذا يناقض كروية الارض وكاننا مقرون بها مجمعون عليها .  
 واذا قلنا بجاذبية الصب يعترض علينا بترجيح المصب على المنبع بلا مرجح .  
 او قلنا ان ضغط الهواء على الماء ساعده على عدم الرجوع يبطل قولنا لان



المراد لماذا صار للماء في هذا الاتجاه وكيف ارتفع حتى سر فرق قوس الارض ولم ينفرج ويكون بحيرة عظيمة والهواء لا يعارض هذا ولا يساعد على ذلك . وهكذا يا مولاي كلما بدا لي جواب ظهر لي ما ينقضه (ثانياً) ذكرت تقرير العلماء والحكماء ان اصل هذا العالم انما هو

الاثير وانه دار دورة رحوية فتكسد والتف بعضه حول البعض حتى تكوّنات منه كتلة ارية عظيمة جداً وبسرعة دورانها تطايرت منها شظايا نارية مختلفة في الحجم امتدت الي مسافات بعيدة متفاوتة وذكرت ان من تلك الشظايا هذه الغبراء التي نرتع بين رياضها وغياضها ونسبح في دأملها ولألائها . فخرجت من هذه النظرية ايضاً على سؤالين

(السؤال الاول) كيف تحرك الاثير ودار دورته الرحوية . ونحن نعلم ان العالم اجمع اذ ذلك عبارة عن اثير لا غير ليس بها هواء ولا ماء ولا ظل ولا حر حتى يمكننا ان نقول . اثر هذا الوجود على بعض الاثير فبردت حرارته وتهي برد البخار المنتشر صغر حجمه فحدث بذلك فراغ وتفسان تحرك باقي الاثير ليسده ويقوم مقام المنكمش منه

(على انه يرد علينا ايضاً) بما اصل هذا الهواء والماء ومن اين جاء . ولا يمكننا كذلك ان نقول بمرور الدهور وكر العصور حدث فراغ في بعض جهات العالم من هذا الاثير اما بالبرودة كما تقدم او اندماج البيض في البيض لان قانون الطبيعة يبطل ذلك بأن المادة متى كانت حافظة لطبيعتها الاصلية ولم تطرأ عليها مواد اخرى تفسد عاينها طبيعة الا يمكن بحال ان تختلف عما كانت عليه مهما مكثت ومهما سرت عليها الا زمان .

على اننا نرجع ايضاً فنقول . الاثير كانه جنس واحد فما المرجح لتغير  
بعضه عن اصله دون البعض . - ( السؤال الثاني ) حيث ان اصل  
الارض شيء واحد وبسبب تغييرها واحد فلم تختلف بعض اجزائها  
عن بعض . فانا نراها مركبة من صخر ورمل وحديد ونحاس وذهب  
وفضة وماس وياقوت وزبرجد الخ مما يفوت الحصر .

بقطع النظر عن اختلاف الالوان فاني على مذهب فضيلتكم من انه  
لا لون لشيء سوي السواد كما قررتهم في رسائلكم (وجهة العالم واحدة)  
على انه يختلج في صدري سؤال يصح ان يكون ثالثاً للمتقدمين ألا  
وهو ما اصل هذا الاثير الذي حكمنا عليه بأنه اصل العالم . واذا كنا لم  
نعرف اصله فكيف نحكم بشيء مجبول لعمري ان الفرح المتوقف على اصل  
ليتوقف على اصل الاصل بالاولوية

( ثالثاً ) نظرت الي القمر فتذكرت قول العلماء ان القمر مشتق  
من الارض فأخذت اسأل نفسي لماذا قرروا انفتاقه من الارض ولم  
يحكموا بأنه كذلك شظية من شظايا الشمس المتطايرة فيكون كسائر  
الكواكب مشتق من الشمس مباشرة . واجلت فكري هنيهة فالفيت  
علماء الاسلام يستدلون على ذلك من القرآن بقوله تعالي ( افلا يرون انا  
ناهي الارض نفعها من اطرافها ) والكنى يامولاي استبعد هذا التقدير  
ولا تسكن نفسي لتفسير الآية بذلك التفسير والا فمن اي الجهات اقتطع  
هذا الجرم الكبير ولم لم تقف لمكانه في الارض على اثر  
القرآن يقول من اطرافها والارض طرفان واللغة العربية تقول قد

يراد بالجمع ما فوق الواحد . وقد رأينا طرفي القطبين ناقصين فهل القمر مشتق من كليهما او من احدهما (على قولهم بالاشتقاقه من الارض) فان كان مشتقا من كليهما فكيف التصق القطبان ببعضهما وصارتا قطعة واحدة وقرآ واحداً . وهل اربعة اقمار المشتري وثمانية اقمار زحل واقمار اورانوس وانهار نبتون كما اختلفته من كواكبها او من الشمس فاذا كانت قد اشتقت من كواكبها فكيف تكون شكل تلك الكواكب الآن . وياليت شعري كيف يكون شكل اورانوس ونبتون بعد . واذا لم تكن مشتقة من الكواكب بل من الشمس مباشرة . فماذا خصصنا قمر الارض ورجحنا الانشنان منها ولا سرجع لدينا . يا مولاي : هذه نظريات مرت على خلدي . كل آسائي ورجائي ان تتكرموا على بايضاها واظهار الصواب فيها حتى اخرج من الملمات الشك والتجبر الى نور اليقين . وعساك ألا ترد يدى منفرأ فقد عهدتكم كما عهدك الملا حتى سكان (مذنب هبلى) لا تخيب ساءلا ولا تكسف راجيا . لا حرم الله العالم من امثال فضيالتكم .

وتفضلوا بقبول احترام وسلام تلميذكم المخلص

ط. ط. في ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٤  
عبد العظيم فهدى انضرب  
طالب بالجامع الاحدي قسم ثانوى

فاجابه الاستاذ جواها شافيا وافيا لم يجعل مجالا  
للريب فيه وهذه صورته

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين (أما بعد)  
فأقول . لقد سألتني أيها الذكي اللبيب عن مسائل بعضها مما يجر الى  
علم ما وراء الطبيعة وهو فن عزيز المطالب ضعب المنال لا يشد اليه الرحال  
الا الافلون ولا يسمى لتحصيله الا من وهبهم الله من لدنه علما وشرح  
لهم صدرآواني لمثلي ذلك . ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله . سألتني عن  
جريان الأنهار حول الارض وهي مكدورة مدورة والماء انما يجري على  
خط مستقيم وان نهر المسيسيبي بأمر يكاد يرتفع وسطه عن طرفيه ارتفاعا  
عظيما ولن يتسنى لسان ان يتسنى ذلك لان طبيعه السير على خط مستقيم  
وهذا سمعنا متغير الاتجاه ما بين كل نقطة وأخرى فلا سبيل لجرى الماء  
عليه ولم تجد في المصب ولا المنبع ولا الهواء ولا غرض سطوح مستوية  
ولا الجسور المحاذية للنهر من سبيل لازالة الشبهة وحل المعقدة بل  
التمهيد باق والاشكال حاضر والامر خفي هذا بجزء من ذلك الازل وأنا  
أقول اعلم ان طبع الماء ان يتكرر لا أن يسير على مستقيم فالتقطعة السافطة  
من السحاب تنزل مدورة والماء في السحب مكدور

ذلك ان الارض وما عليها من الماء وما يعاونه من الهواء انما تشكل  
بشكل كرة والماء المحيط بالارض مكدور عليها مدور كتدوير الليل والنهار  
والظلمة والنور والانسان والحيوان والرياح والسحاب كلها تسير على  
خطوط منحنية والسفن التي تجرى في البحر انما تسير على سطوح

منحنية والناس يشاهدون ذلك فانك لو رأيت سفينة قد أقامت من ميناء الاسكندرية مثلا لرأيت اول غائب عن عيانك اسفلها وكما تباعدت غاب ما علا شيئا فشيئا حتى اذا امعنت في المسير لم تر الا انبوبة الدخان ثم لا ترى الا الدخان ثم يغيب عنك اسفله ويذهب انلاه شيئا فشيئا حتى يتوارى عن العيون ولا جرم ان ذلك لحجز الماء بينك وبينه بسبب التكوير . - هكذا اذا سرت على اليابسة فانك تشاهد مثل ذلك . فانك اذا خرجت من قرية وتباعدت عنها قليلا غاب عنك اصول البنيان وظهر اعلاه ثم لا تزال الابنية تختفي شيئا فشيئا حتى لا ترى الا نحلها ثم لا تشاهد الا مناراتها العليا ثم تغيب عن الابصار وانما شأن المشاهدات ان تصغر كلما تباعدت وتقل احجامها على مقدار بعدها على عكس صرعب المسافات بين الناظر وبينها لا اذا منع مانع . . . الا ترى ان النجوم ترى مهما تباعدت عن الابصار وان كان بينها وبينها مئات الالوف من الاميال او الآلاف المؤلفة من المسافات المعادلة لطول قطر الارض ولكن السفن في الماء والاشخاص على سطح اليابسة تخالف هذه القاعدة فانها تستمر بغواب الارض وحدها فيختفي بعضها فاما الكواكب فلا يختفي شيء منها وانما تصغر احجامها فافهم وتعجب

وسبب التكرور ان كل ما فوق مركز الارض طائب له من ارض وماء وهواء فأنما حلت عناصر الارض او ذرات الماء او لطائف الهواء فانها هاربة من محيطاتها طالبة لمركزها دائرة حتى يمنحها مانع قد سكن فيها واستقر تحتها وملك المكان بحق السبق ولو ثانية فيرضي الطاريء

عليه بالمجاورة ويكتفي بالملاصقة من أعلاه ذلك شأن ذرات الارض  
 والماء والهواء كلها صنعت كرة واحدة لانها تطلب مركزاً واحداً ولما  
 رأى الاقدمون ذلك من علمائنا رحمهم الله تعالى قالوا لو اننا أتينا باناء  
 قد ملئ ماء ووضعنا في قعر البئر ثم رفعناه في أعلى الجبل فان الماء الذي  
 فيه وهو في أسفل البئر يكون أكثر منه وهو في أعلى الجبل ذلك لان  
 الماء في الحالة الاولى قد تحذب بنسبة كرة تحيط بقاع البئر فأما في الحالة  
 الثانية فانه قد تحذب ماؤه بنسبة كرة تحيط بأعلى الجبل

ولا جرم أن تحذب الاولى اشد واتوى من تحذب الثانية والانهاء  
 وان كان على حاله فتعديب مائه في قاع البئر اشد منه فوق الجبل بنسبة  
 الكرتين الصغرى والكبرى والفرق بينهما عمق البئر مضافاً اليه علو الجبل  
 سؤال وجواب هو لملك تقول ان مذكورته لم يثبت الا ان الارض  
 كرة وما حولها ملتف عليها وانا انما سألتك في جري الانهار لم يكون على  
 خط منحن والجواب على هذا السؤال يرد به ما قدمته لك فأقول ان  
 ما قدمته مقدمة للجواب فانه اذا كان طبع الماء على سطح الارض أن  
 يتدمج في كرة وهو في اى مكان يطاب امامها فلا جرم اذا جرى النهر  
 من جبل او نبع الماء اليه من عين وسار الماء فانه يجرى على خط منحن  
 تبع الكرة لانه يريد ان يلبس الكرة لباساً بكمبر حججهما فهو يجرى  
 حولها ولا يستغرب ذلك تبعاً لطبيعته وطبعاً للمركز العام فان كل ذرة  
 من الماء وجدت امامها مكاناً خالياً ( اى انه اقرب الى المركز من المكان  
 الذي هي فيه ) اسرعت اليه لتنظيم الكرة فهذه الانهار الجارية في الشرق

والغرب لا يجري على خط مستقيم فإنه لا عمالة ولا سبب وانما هي تسرع  
لما تجيء امامها من الامكنة التي هي اقرب الي المركز فتصل لها وتحل فيه  
بحكم الاسبقية ويتبعها غيرهما طالبة لمركز عاصمته له مغرمة به ساعية للاقتراب  
منه كما تسير الكواكب والشموس والانهار في دوائرها

فأما قول القائل ان الانهار تجري لان التضاريس الحاصلة فوق سطح  
الارض كافية لان يجري النهر بسببها اي ان جبال القمر وراء خط الاستوا  
اذا نزل الماء فيها فإنه يجري الى البحر المتوسط لما ان هذه الجهة التي تبلغ  
اكثر من ثلاثين درجة مثلاً اتفق ان اولها انلي من آخرها وان كان ذلك  
بخلاف حال الكرة بل هي تضاريس وتمازج الخ فهنا القول باطل لا يقوله  
الامن لاعلم عنده والتضاريس حول الارض ضعيفة بالنسبة لحجمها  
والجبال المنظمة الشاهقة لا نذكر ولا قيمة لها بالنسبة للكرة كلها ولقد  
قدرت بنصف سبع شميرة من كرة قطرها ذراع وهو لا قيمة له فكيف  
يساعد على جري الماء مرحلة واحدة واعلى جبل لن يتجاوز مسبعة أميال  
مع ان قطر الارض نحو ثمانية آلاف ميل والمحيط خمسة وعشرون الف ميل  
يجري الماء على سطح الكرة الارضية تماماً لانحنائها سالها سببها والناس  
يظنون انه يجري على خط مستقيم مدفوع عين بحواسهم والحس فاش خادع  
لما كانت العين ترى الارض مسطحة ثبت في النفس ان الماء يجري  
على خط مستقيم حتى صار ذلك عقيدة ثابتة في الناس مع اننا نحن لا نمشي  
على خط مستقيم فالو ركبنا القطار من القاهرة الى الاسكندرية مثلاً لسرنا  
على خط مستقيم يكون اعلاه في وسطه وطارفاه منخفضان بالنسبة للوانف عليهما

## ﴿ لطيفة ﴾

ليس في الكرة اعلى واسفل الا ترى الى قولهم (هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها) والمحيط اذا قطعنا النظر عن التضاريس والتعارج فيس فيه اعلى واسفل وانما اعلى الكرة المحيط واسفلها المركز فالقول بارتفاع جهة المنبع لاسبيل اليه ولا سبيل الى القبول بان جهة القطبين اسفل من خط الاستواء فان هذا وهم تخيلته الحقول من الامور البادية أن التقطى القطبين نقطتان كبقية نقط المحيط لا تفرقان عنها فلو جمداهما على خط الاستواء لانتاب خط الاستواء قطبين والقطبين خط الاستواء وهذه صورها لا تنهاهى . ولذلك نرى الانهار على سطح الكرة تجري شمالا وشرقا وغربا وجنوبا في نصفى الكرة ولو اني جيلا عظيما سالت منه انهار اربعة للجهات الاربع لجرت الانهار في تلك الجهات ولدارت كلها حول الكرة الا لما منع يمنعها من اماكن مرتفعة تصدها او بحار تقبل ماء شافهم . في البحر الملح لو لم يتبع قاعدة التكوير لانحاز ماؤه في جهة واحدة ولم يعم الكرة الارضية كلها بل نراه كور للكرة واتمها تماما . وهنا يرد سؤال فيقال لم يقف الماء اذا صادفه سد مع انه يتسجم في جريه حتى يرتفع عشرات الاميال والحجر الصغير يوقفه والنهر اذا ارتفعت منه بقعة لم يجر فيها الماء فلنا ذلك الحجر وذلك الارتفاع في النهر تضريس وليس جاريا على قانون تكوير الارض بل هو أبعد عن المركز من ذلك الماء فوقه ولم يتخطه



ولذلك أصبح الماء مقياساً لارتفاع الارض وانخفاضها فيقال هذا المكان  
أعلى من سطح البحر بكذا لان سطح البحر تكويره صادق فهكذا الانهار  
تجري على هذا المنوال أن ربي لطيف لما يشاء أنه هو العليم الحكيم  
ولو جرت الانهار على خطوط مستقيمة لدخل النهر بعد مائة ميل مثلاً  
في باطن الارض بل وصل الى الكرة النارية

ولو كان نهر النيل يجري مثلاً على خط مستقيم لاستمالت عمارة القطر  
المعري بل أصبح قانا منقسماً فانه هو ونهر المسيسيبي في امريكا ودجلة  
والفرات تجري داخل الارض وتتباعده حتى تصل كرة النار لاني رأيت  
الارض مصورة ككرة قنر البطيخة وقد جعلت قشرتها مقدار قشر  
البطيخة والبحار الملحة قد استبحرت فوق تلك القشرة واستقرت عليها  
فأما ما تحتها فهو ما بين البحر الملح والكرة النارية المعادلة لقلب البطيخة  
واعماق البحار معلومة تقاس بالافدام وسير البحار في باطن الارض لو صح  
لكان يتناول مئات الاميال وهنا سؤال يرد فيقال لو صح هذا لجاز أن  
يكون المنبع مصباً والمصب منبعاً فلو كان موضع البحر الابيض جبال  
انزل الماء وجري الى خط الاستواء . وهذا لا يعقل نقول ونحن نقول به  
فلو كان مكان البحر الابيض المتوسط جبل كجبل القمر ونزل فيه الماء في  
نهر النيل لجري الى خط الاستواء بلاشبهة ولانقلب الوضع فكان القرين  
يرفع الارض جهة المصب وتأخذ في الانحدار الى خط الاستواء على  
عكس ما هو حاصل الآن من ارتفاع أعلى النهر عن سطح البحر وانحداره  
بالتدريج على مقدار ما كسبت الارض من القرين وهذا عسر التصديق

والفهم عندهم لم يعتادوا أمثال هذه المسائل ولم يمر نوا عليها بهذا مانع لي  
في المسألة الأولى

(المسألة الثانية) سألتني نور الله قلبك بالدلم وأضاء قلبك لا تتطلع  
ثناياه والتقاط فرائده واجتماع ثماره الشهية اللذيذة وقص آثاره المفيدة  
المطلوبة المرغوبة لأولى الألباب

لقد ذكرت في بقية خطابك أصل العالم وأنه أثير فدار وتكور في  
الآلاف من السنين دهوراً وعصوراً لا يعلم أولها ولا يدرى آخرها فلم  
تطمئن نفسك إلى ذلك ولم تدرو لماذا تحرك ودار ولماذا اختلفت اجزائه  
ولم حدث فيه كل ما حدث وهو عنصر واحد وهكذا الأرض التي هي  
جزء من هذا الكون كيف اختلفت اجزائه وكان منها الاحجار والذهب  
والفضة والماس والنحاس والحديد والقصدير والملح وسائر العناصر  
ثم أخذت تشكك في مسألة القمر واشتقاقه من الأرض وهكذا أقمار  
السيارات الأخرى ثم قلت ان القمر مشتق من القطبين وكيف كان  
ذلك الخ

## علم ما وراء الطبيعة

لا جرم ان هذا القول من علم ما وراء الطبيعة وهو العلم الباحث في  
الامور العامة وهي التي لا تخص علماً طبيعياً أو رياضياً  
ذلك ان العلوم الثلاثة رياضياً - الباشية في كبريات الاشياء من عدو  
وطول وعرض وعمق فكان منها الحساب والهندسة والملك والموسيقى والجبر

الطبيعية الباقية في تركيب المادة وتحليلها وتغيرها وفي هذه علوم كثيرة كالمعدن والنبات والحيوان والانسان والزراعة والطب وأمثال ذلك وهذا القسمان علوم جزئية خاصة تخص قسما من الموجودات. فأما القسم الثالث فهو علم ما وراء الطبيعة وهو الذي يندرج ثمنه كل ما عم ولم يخص قسما من السابقين كالقدم والحدوث والمقولات العشرة الجامعة اشتات العلوم كلها وتقسيم العلوم الى نحو ٣٦٠ علما كما في مفتاح السعادة «لطاش كبرى زاده» والتمتاضات والمتضادات والمتقابلات والواحد والكثير والكل والجزئي والمتقدم والمتأخر والنفوس والارواح والعقول والملائكة والمبدع الاول للكائنات فان هذه كلها لا تخص قسما من هذه الموجودات فسميت علم ما وراء الطبيعة واقد جعل بعض المفكرين علم السياسة مما قرر في هذا العلم اذ ادرجه تحت كليات النفوس الارضية والعقول البشرية وحكمها في هذه الممالك الخ. مما لا حاجة الى الاطالة فيه

### ﴿ تكوين العالم ﴾

ومن أهم هذه المسائل في علم ما وراء الطبيعة أصل العالم وتكوينه وكيف كان مبدؤه واقد بحث هذا الانسان في أقدم عضوره وأبعد دهوره ومن أول نشأته في هذا الوجود وكيف ابتدأ وبماذا سار على نهجه وجرت نجومه وبهرت شمسوه وكيف كان سموات وارضين وظلمات ونورا هذه المسائل لا ينفك هذا العقل الانساني يبهت فيها وينقب عنها عسى ان يطمئن لما يلهم ويسكن لما يسمع

وهل اتاك نبأ الارض اذ جاء في كتاب ارمان عندهم ان الله الذي لا يعرف الا بالعقل ولا يتصور الا بالفكر ولا تراه العيون ولا تحفظه الظنون خاني ماءً انتجه علمه وارادته وابدع أصول الخليقة وبذور الموجودات فصارت بيضته كالذهب كالشمس مضيئه مشرقة تسر الناظرين ثم انه تجلى على هذ البيضة بصفة انسان وبعد آلاف آلاف من السنين ومر الدهور وكر العصور انفلقت البيضة فانفتحت فكان من احد الفلقتين السماء ومن الاخرى الارض وفصل اليابسة عن الماء ثم شطر نفسه شطرين احدهما كان فيه طبيعة الذكر والاخر طبيعة الانثى وكان احد نصفيه قوة فاعلة والاخر قوة منفعة ولذلك ترى الارمن يهادون البيض في رأس السنة وعندهم أخذ النصارى هذه المادة

سكان جزائر البحر الجنوبي كما في شرح بختر الالماني لمذهب داروين انهم يمتقدون أن الارض كانت مغطاة بالماء ثم أخذ الماء يتقلص عنها شيئاً فشيئاً حتى ارسل أبو الالهة ابنه على صورة حمامة ومعه اقبضة تراب ونبات حي فوضعت التراب على الاحبار وغرست النباتات ولما امتدت اصوله تغطى بالذباب ومنه تكون الرجال والنساء . فبصر لهذا الانسان كيف فكر في منشأ العالم وهو على فطرته فأخذ يتلو هذه الخرافة فصدقها قوم في ذلك البحر الجنوبي . ثم انظر وتعجب له في التوراة وكيف كان التوراة بينه وبين ما في كتاب الارمن بهض المشابهة ألا ترى أنه يقول خلق الله العالم في ستة أيام وخلق النور في اليوم الاول ثم خلق الشمس والقمر والكواكب وخلق الانسان على صورته والله

فوق كل مادة وفيه أصل كل شيء وفيه ذكر الماء فانظر في سفر التكوين  
اذ قال في البدء خلق الله السموات والارض وكانت الارض خربة خالية  
الي ان قال وقال الله ليكن جدا في وسط المياه ثم قل لتجمع المياه تحت  
السماء الى مكان واحد ولتظهر اليابسة الخ واليابليون سدكان ما بين دجلة  
والفرات وكانوا يعتقدون ان كل شيء كان في الاصل ماء والمصريون  
كانوا يعتقدون ان الاله (فتا) لون العالم من بيضه

### عجيبه غير يبعه

انظر ألس ترى هذه الاراه متقاربة متشابهة مها دخلوا من  
الخرافات والاشكال ألس ترى أنهم بقواون بيضة وماء والبيضة تدحرجت  
فدخلت اكثر فائد القدماء كأنهم للارأوالدجاجة حضنت بيضة ففقت  
فكان منها فرخ جعلوا العالم على مقياس ما شاهدوا وجعلوا السكل أشبه  
بالجزء . هذه البيضة وهي العالم فلقها ديمقراط وقسمها أنساماً صغيرة  
وصارت اجزاء لا تتجزأ ولا تعرف الا بالعقل لدقتها عن الحس فدارت  
وسارت في الخلاء في آلاف آلاف السنين فحصل منها هذا العالم على انحاء  
شقي من سموات وارض

### مخاطبة لطالب العلم

وهذا مذهب (لابلاس) الذي سألت عنه فان لا بلاس العالم القرني لما  
نظر هذه المذاهب القديمة جعل العالم قدماً ككرة واحدة هي نفس بيضة  
الارض وقدماء المصريين فدارت وتكورت وصارت كواكب وأراض

ونجوماً واقاراً . ثم معادن ونباتاً وحيواناً وانساناً وما شا كل ذلك مما لا  
 يتناهي فهذه القضايا التي القاها العقل البشري على الالهم ليست قاطعة  
 ولا تحققة وانما هي فروض افترضوها وقضايا وضعوها وأشكل نظموها  
 لتسكن النفوس البشرية اليها ولتطمئن بها بعض الاطعنان والافليس  
 هناك ادلة عليها ولا براهين تقوم لها وأما ما في التوراة فانه اقريب الالهم  
 واغراء على البحث والتفكير أن لا يلبس صاحب رأى الاثير (وهي المادة  
 التي لاتعرف الا عقلا وبها وصل ضوء الكواكب اليما اذ لا فراغ في  
 العالم فان ما وراء الهواء من اعلا ليس الا اثيراً وهو العالم اللطيف الذي  
 لا يرى ولا يحس ولا يلمس ولا بدأ أن لا يشم ولا يعرف الا بالاستبصار  
 عند القدماء والمحدثين فالاستدلال عليه استدلال على امر عقلي)  
 ومنج ما في التوراة من خلق النبات والحيوان والانسان وبعد انفصال  
 اليابسة عن الماء وهما عن السماء .

بمذهب الارض مع مذهب ديمقراط واپيقور اليونانيين وقال ان  
 العالم اثير دار على نفسه في دهور لا يعرف أولها ثم انفصل سموات  
 وارض ثم كان الماء وانفصل ثم تكون الحيوان والنبات فأوله فلسفي  
 يوناني وآخره من التوراة سواء بسواء .

ان لا يلبس الذي قرأت أنت رأيه وعرفته مما يقرأه مدرسو المدارس  
 والمعاهد العلمية لم يجعل بحثه نهاية الابحاث كلابل جعله فرداً بحيث تسير  
 على متواله الآراء العلمية لتطمئن اليه النفوس بعض الاطعنان وقد جعله  
 فرضاً تسكن اليه نفوس المتوسطين فهو مذهب خيالي يقلده سامعه

ويسكن اليه قارئه لذوي العقول المتوسطة من السواس وأرباب الادارة  
والشبان وسأريك فيما بعد في هذه المجالة كيف كان حلقه من سلسلة  
الآراء الانسانية

وأدوار الفلاسفة وبيان ان الرأي السائد الآن في أصل العالم

احد الآراء فليس الامر قاصراً عليه .

ان هذا الانسان اشبه بطفل نما فكبر فأخذ يدوس الاشياء وله  
في كل سن من اسنانه رأي يوالى مزاجه ويوافق عقله ويطمئن نفسه  
بذهب ابلاس كما ستراه لا يسكن اليه الا من عقله نزل شاب واكثر  
المتعاملين متوسطون في عقولهم لا يصلون الى نهايات الحقائق ولا يسكنون  
الى ما يبدو لهم في الديانات فيسيرون حتى يصلوا الى منتصف الطرق  
ويظنون انهم موقنون ولا يعلمون انهم متادون واثن سألهم ما حقيقة  
السموات والارض ليقولن كورهن الاثير الدائر فطار في الاقطار في  
قديم الدهور والاعصار وجرى جرياً حثيثاً وكان ما كان وايس في  
الامكان ابداع مما كان فتمول وما البرهان يقولون قد قرأنا فيما زبره الاوربيون  
وهم بذلك حقيون

او لم يعلموا ان مذهب ابلاس كالواسطة بين طبقة العامة وطبقة  
المفكرين لانه لم يجعل العالم جامداً قديماً من بدئه بحالته التي هو عليها من  
سموات وارض بل جعله دقيقةً خارجاً عن الحواس وبدورانها صار محسوساً  
ولم يبحث في أصله وهو الاثير ولم يدر من أين جاء واخذ شرح السموات  
والارض فجعل هذه الكرات كلها منفصلة عن الاصل وكل كرة انفصلت

عنها كرات فالسيارات انفصلت عن الشمس كما تنفصل القمرات من الزيت الصغيرة من الفطره الكبيره اجارية فوق الماء فاذا وضعنا زيتاً فوق الماء وادرناه يعود مثلاً فاننا نرى قطرات صغيرة فيفصلن منه ويدرن حوله كل قطرة قد تنفصل منها قطرات أخرى هكذا قال لنا الذين علمونا رأى لابلان فالقطرة الكبيرة كالشمس والقطرات كالسيارات والمنفصلات منها كالأقمار

وانت اخبر ان هذه الاستدلالات من القياس التمثيلي في المنطق ( ولا يفيد القطع بالدليل قياس الاستقراء والتخيل - فاذا كان القمر جزءاً من الارض فعلى هذه القاعدة والقمر جزء من ٤٩ جزء من الارض ويقولون له مواضع الاقيانوس لامن القطبين

فالجزئية التي اغرنك أيها الطالب الذي لا ينبغي ان تتبعها لان مقام مقام شعري ومقال فردي لا يقصد منه التحقيق ولا التدقيق وانما هو بالروايات الارمينية والمقالات الديقراطية فافهم ذلك ألا ترى ان القدماء قالوا ان الافلاك تسعة مرتبة من اعلاها الى اسفلها والارض في مركزها ثم قال آخرون منهم كلا فالكواكب دائرة سائرة ولا ممسك لها الا الجازية الحافظة لهما في مداراتها والارض كوكب من الكواكب والرايان جريماً يصدق عليهما الحساب فترى الارصاد والازياج وسائر انواع الحساب الفلكي سائرة صادقة سواء أخذ الناس بالرأى الاول ام بالثاني وان كان الحق واحداً في مثل هذا فهكذا كل قال قولاً فيها فهو ظن وتخمين ( ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم )



وهالك سلسلة مباحث هذا الانسان التي لا يزال يدور فيها مبتدئاً  
 من او امانتها الي آخرها ثم يرجع ككرة ثانية فالانسان كله كنفس واحدة  
 تسير مباحته من أجل الامور وأرضعها الي أذعها واحفها وابهاها واجملها  
 هكذا كان وهكذا يكون ولن ترى احداً يسير على خلاف ما سأذكره  
 لك فلتجده نبراساً واجعله نصب عينيك امد الدهر لتجل به ~~اصغر~~  
 المشكلات الانسانية في اصل هذه الحياه الدنيا في خلية العالم

(مقارنة الانسان العام بالفرد الواحد في قصة حي بن يقظان)

ولما كان الانسان الكبير وسيره في بحته ونظره في المخلوقات اشبه  
 بالانسان الصغير ومجموعه اشبه بفرد حذ والقذة بالقذة لان الانسان  
 بمجموع افراد فسيره اشبه بسير احدهم وجب ان تقارن هذا الانسان وسيره  
 في علومه بما كان من امر حي بن يقظان وهو الانسان الخيالي الذي تخيله  
 ابن الطفيل الاندلسي في القرن الخامس الهجري والى كتابا سماه حي  
 ابن يقظان اذ ولدته امه فوجد نفسه في جزيرة فرضع ثدي غزاله وعاش  
 مع الحيوان ولبس جلده واخذ يتقى الحر والبرد والحيوانات المفاتكة ونظر  
 في الوجود علوية وسفلية وخالفه وأخرته ودنياه وروحه حتى اتم مباحته  
 على وجه يجمع سائر العلوم ولقد نظر هذا الانسان مألفيناه حتى تدرج  
 من حال الى حال وركب طبعا عن طين وارتي الاسباب وأتم المتأخر  
 ما نقصه المتقدم وسار من طفوليته الى مراهقته الي فتوته الي كهولته الي  
 شيخوخته الي الهرم فرجع الي سيرته الاولى قال الاعشى

وما زلت ابني للمال مذانا يافع وايدا وكهلا ما بقيت امردا

شباب وشيب وافتقار وثرورة فلهذا هذا الدهر كيف ترددا

## ادوار حي بن يقظان

ان حي بن يقظان تقاب في ستة ادوار فهكذا الامم في حالها العلمية تسير سيراً يحاكيه في تعاليمها الحكيمية وأحوالها العلمية ففي الحال الاولى تناغم الطبيعة ونحاكي المشاهدات وتسير مع المحسوسات فيكون تلك المراتب الشعرية كما كان حي بن يقظان بناغمي الغزاة وبقلدها في بنامها ويحاكي الحيوان وذلك اشبه شيء بما كان عند الاغريق لا يتجدون الا الظواهر الطبيعية التي تؤثر في تخيلاتهم او تقع تحت ابصارهم كالهواء والجو والسماء والشمس والرياح والامواج وقد كان البيلاجيون منهم يؤولون تغريد الطيور وخفيف الاشجار ثم تحور هذا الشكل فأقاموا للآلهة التماثيل واعتقدوا فيها ما للانسان من الاخلاق والمواد والصفات والعيوب وجعلوا محل اجتماعهم جبل اولبوس وكذلك يحكي عن امم الهند والصين واليابان وامريكا الاصليين والعرب الجاهلية انهم جميعاً لهم اصنام يعبدونها وانما الاصنام ما تخيلته نفوسهم بالقوة الشعرية وهكذا قدماء المصريين اتخذوا التماثيل معبودات لجهاتهم كأنهم صبيان يحي بن يقظان اول حياته

## الحالة الثانية

الحال الثانية لتويع الانسان اشبه بحال حي بن يقظان من سنه السبع الى الحادية والعشرين اذ ماتت الظبية فبعث في الروح ودرس

التشريح واخذ يفكر قليلا قليلا هكذا ترى أن تاييس مثلا في الامة اليونانية أخذ يرفع رأسه قليلا ويريد ان يتعالى عن الاستغراق في الخيال والحس وان كان لا يزال مغمورا فقال ان الماء هو الاصل الاول لكل شيء وما الارض الاماء جمد وكل شيء في الوجود يرجع الي الماء، وقد كان رجلا مالطبا من التابعين في المستعمرات اليونانية ولد قبل الميلاد في نحو ٦٤٠ ومات سنة ٥٤٨ ولا جرم ان هذا المذهب يشبه ما في التوراة الذي نزل الى اليهود من الشعوب السامية وكذلك اهل بابل كانوا يمتقدون ان كل شيء كان في الاصل ماء وظلمات مسكونه بالحين كما قدمنا الاشارة اليه ومن الحكماء من قال اصل الكائنات الارض ومنهم من قال اصحابها النار وما اشبه هذا بمقيدة الفرس اذ يعتقدون ان هرمز وهو آله للنور عندهم خالق العالم في ستة ايام كالتوراة مع تغيير في الترتيب ففي اليوم الاول النور والسماء والكواكب وفي اليوم الثاني المياه والغيوم وفي اليوم الثالث الارض والجبال والسهول ثم في الرابع النيات ثم في الخامس الحيوان وفي السادس الانسان

ودين الصابئين عبادة الكواكب وتعجب لما في لغة العائلة الآرية او الهند وجرمانية العظمى فان الله عندهم هو النور او الشمس وتجد اللفظة الاصلية للنور (ديف) ومعناها النور او اللامع ويشتق منها عند الشعوب المذكورة الفاظ للدلالة على الله ففي لغة السنسكريت ديفاس اوديواس او (ديوا) ويعبرون عن السماء بلفظة (ديوس) وعند اليونان (ذيوس) وعند اللاتين (دووس) او (ديوفيس) ثم قالوا جوفيس ومنه جويتير وفي

الالمانية القديمة ( ذيو ) وفي السلاف ( ديواس ) ولفظة ( تير ) المشتقة منها معناها اله الحرب عند أمة الشمال . والفرنساويون يعبرون عن الخالق ( ديو ) مترجمةً والايطاليون ( ديو ) والاسبانيول والبرتغال ( ديوس ) وكلها مشتقة من اصل واحد ولا جرم ان نار الفرس ذات علاقة بالنور فترى هذه الامم في مبدأ أمرها لما بهرهما من جمال النجوم ظنت أن ذلك للألأ والبهاء والحسن آلهافيبدوه ولا جرم ان هذا المذهب لالف من مذهب الماء ومنهم من قال الهواء اصل هذه الكائنات وهو انكسيانس وهو من اللطيين قال أن أول الاوائل الهواء ومنه تكون جميع ما في العالم ألا ترى ان الانسان لا يعيش الا بالنفس وهكذا الحيوان والنبات فهو روح كل حيوان وحياة كل نبات بل هو اصل العالم كله وما كونه من صفوة الهواء فالارواح وما كونه من كدره فهو الجسمانيات وقد كان انكسيانس قبل المسيح سنة ٥٢٨ وهو لاء هم الطبيعيون

### الحالة الثالثة

من الحادية والعشرين الى الثمانية والعشرين نظر في الحيوان والنبات والجماد والاجناس والفصول وأن هذه كلها سلسلة واحدة ونظام منسق فبكذا ترقى النظر في الحكمة قليلاً أيام ديمقراطيس وانهزقلس أما ديمقراطيس فانه كان في القرن الخامس قبل المسيح عليه السلام وقال كما قال معلمه لوفنسيس أن اصول الاشياء الذرات والفروع وانه لا

يتكون شيء من العدم كما لا يؤول موجود الى العدم . وان الذرات لا يعترها فساد ولا تنهير لان صلابتها التي تقاوم كل شيء تحفظها من سائر التغيرات واما انزقلس فانه ترقى عنه قليلا وقال ان الاشياء كلها ترجع الى عنصر مركب من المحبة والغلبة ومنها ركب العالم وبهذا تنافر ما تنافر من الموجودات واتحد ما اتحد فالامر كانه راجع للمودة والبغضاء والأنتلاف والاختلاف فمن هذا ترى ان الفلسفة ترقى حتى وصلت الى نهاية المادة وقد كانت قبل ذلك جميع الاشياء ترجع للماء أو لهواء أو نحوها وليس المقصد من ذلك ترتيب الازمان بل المرتبة للأراء والمعقولات فارتقت البصائر وعرفت ان وراء ذلك مادة لا تعرف الا بعقل وهو رأي ديمقراطيس الذي شرحناه وبنى عليه لا بلاس الفرنجي مذهبه وكور العالم كرة اثيرية فدارت دهورا وكان ما كان

### لطيفة

مذهب لا بلاس هذا الذي شاع في الارض اليوم قد رأيت به بشكل ادق واجمل في كلام الاوائل من أمة الاسلام فقالوا ان العالم كله من الهيولى والهيولى لغة القطن اذ هو هو يقبل صوراً شتى وهذه الهيولى تقبل صوراً لانهاية لها كما ان الكيموس في المدة مادة واحدة متشابهة الاجزاء ثم تتشكل عروفاً ولحمًا وعظماً وظفراً وشريانا ووريداً وعصباً وما أشبه ذلك فهي مادة واحدة متشاكلة اندمج فيها سائر ما تكون منها وأرقى من هذا الرأي ما قدمناه آنفاً من مذهب انزقلس الذي

حكم بتركيب المادة من غلبة ومحبة فارجمها الى أمر روحاني عبر عنه بما ذكر

## الحالة التي ابعدت

من ابتداء الثامنة والعشرين الى السادسة والثلاثين اذ ترقى في الى  
البحث في الافلاك ونظامها وكواكبها وحسابها ولم يبق الا البحث عن  
اخترعها وهناك الخيرة وتلمس المعاني من وراء الحجب الساترة والغواشي  
والمادة المظلمة

هذه تقابل مرتبة السوفسطائية وهم طائفة من اليونان أشار اليها  
الفارابي في آخر كتاب أهل المدينة الفاضلة يقولون لا ثبات للمحسوسات  
ولا بقاء للمشاهدات فلا علم ولا معلوم وانما هي صور في المادة تحدث  
باتفاقات غير منتظمة فاما تلك العلوم فانما تواطأ عليها الناس لاصلاح  
حالههم ومعايشهم

هذه حال الشبان اذا حل عقل تقليدهم واطلقوا من ربة التقليد  
فانهم يفكرون في صنائع العالم اذ تعترضهم الشكوك والاهام  
هكذا ترى العنودية والعنادية واللاادرية من الامة اليونانية . فمن  
العنودية بروتاغورس وهذه الطائفة تزعم ان ما كان عند الانسان حقاً  
فيو حق بالنسبة له لا يتعداه . والعنادية ومنهم غورغياس يقولون لا  
حقيقة ثابتة البتة لان الاشياء سريعة التغير فأين الحق

واما اللاادرية فهم طائفة لا يرون رأياً بلي عقيدتهم الشك المطلق  
في كل شيء ومنهم بيرون والمعاصر لاسكندر اليوناني وكذلك ترى أول

كتاب العقائد النسفية هذه الجملة ( حقائق الاشياء ثابتة ) رداً على  
مذهب العنادية

هناك ظهر فيثاغورس سنة ٥١٠ قبل الميلاد وقال اصل الاشياء  
كلها الاعداد وهي من الواحد والاعداد ذات نظام فبهنا ارتقاء بالعلم  
الى ما فوق المادة ومن اراد تقريب هذا المقام فليطلع على أوائل كتابنا  
نظام العالم والامم وقال انبرقلس بالمحبة والبغضاء وهما أيضاً أمران  
روحانيان وعندى أن مذهب انبرقلس أشبه بمذهب فيثاغورس. ألا  
ترى ان الحساب يرجع الى قضيتين وهما الجمع والتفريق فالضرب والجمع  
للجمع والطرح للطرح والقسمة للتفريق الجمع للمحبة والتفريق للبغضاء  
وهنا ترى من العجائب والبدائع والحكمة والظام والترتيب في  
هذا العالم اذا قرأت في كتابنا نظام العالم والامم وكيف كان العالم من  
العلويات والسفليات والموازن والمقاييس والنبات والمعدن سائرًا بنظام  
حسابى مدهش

## الحالة الخامسة

من السنة السادسة والثلاثين الى السنة الحادية والخمسين فانه اهتدى  
لمعرفة خالقه وأخذ يقلد الكواكب في اخلاقها ويستعمل النظافة ثوباً  
ويدنأ وأقام نفسه وكيلاً على الحيوان والنبات  
هذه حال كمال الانسان في المعارف والعلم وارتقاء الامم في معارفها  
وعلمها وحكمتها ولقد تعلم العباد من دوران الكواكب ودار مشابها

وشاهد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت وصار اشراقياً رواقياً من حيث لا يشعر فهذه حال التمام لحي بن يقظان . فأما في نوع الانسان فانه سئم المذاهب المشتتة وكره التخبیط في دياجير ظلام الطبيعة وأعوزه رجل قادر ذكى الفؤاد يهجم على الحقائق بقوة وعزم ويخرج بهذا الانسان من حيرته شكوكه واهامه ومن المادة المظلمة - وقد استمدت العقول لادراك الحقيقة لما نظرت النظام البديع في الحيوان والنبات والكواكب والافلاك وكيف سارت بنظام بديع وقانون غريب وحركات منتظمات بديعة تطرب لها اقارب وتشرح لها الصدور ويهرم ما رأوا من مطابقت النظام العام الاعداد وغرائب تركيبها وكيف كان طبعها موافقاً لطبع الكون وهذا المذهب افيتاغورس طابق بين العقول والمشاهد وزادهم حسناً وجمالاً في العقائد مذهب انبذلس اذ أرجع العالم الى محبة وبنضاء فتجلت الحقيقة ناصعة باهرة وظهر أن الكون لن يقوم على هذا النظام ويكمل أمره وياتم جمعه وينتظم عقده ويجعل نظامه الا بعقل صبور وعلم احكمه وتدبير شمله ( كما تراها مفصلاً في كتاب نظام العالم والامم )

كذلك كان رجل اسمه انكسغوراس مات سنة ٤٢٠ ق . م . وقال ان الاشياء تقبل القسمة بلا نهاية على عكس ما قاله ديمقراطيس ولم ير قول الطبيعيين كطاليس ولا قول الدهريين كديوقراطيس ولا قول السوفسطائيين ولا مقال اصحاب العدد ولا المحبة والبنضاء وانما المعول عليه عنده ان هذا العالم مرجعه لعقل نظامه وفكر رتبته فالعقل عنده هو



الذي رتب هذا العالم

ولما جاء بعده سقراط ونظر في آراء من تقدمه قال ( لقد رأيت فيهم رجلاً كأنه حي بين أموات وهو انكسغوراس ) ثم اعرض عن الكلام في الالهيات واخذ يجد في معرفة حقائق الاشياء وفي تهذيب النفس واني لا ذكر حديثاً له مع احد صريدياً اذ قال له وهو يحاوره : كيف تأنف من عبادة من خالقك . فقال الطالب له انا لا اصدق بخلقك فقال له اي المصورين احذق مصور اتقن صورته ام الذي لم يتقنها قال بل الذي يتقنها قال والمصورون قسمان متقنون وغير متقنين فجميع ما تراه من الصور الذي ابدعه نوع البشر اقل اتقاناً من صور البشر انفسهم قال نعم قال فهل الصور التي هي اقل نظاماً لها صانع والتي هي اكثر نظاماً لا صانع لها قال كلا بل لها صانع احكم من صانع التي هي اقل اتقاناً قال فصورتنا لها صانع ويدل على حكمته انه جعل لها سمعاً ينذرنا بالخطر وبصرأ يهدينا السبيل وشماً يميز به بين الصالح للغذاء وغيره وجعل عند الفم حارساً كل ذلك ليبقي الصورة الى أجل وتدوم حياتها فهذه العناية تدل على انه حكيم قال الطالب لكني لا اؤمن بعقل عام للكون لاني لا أعلم العقل الا في هذه البنية

قال سقراط من اي الاشياء هذه البنية الانسانية أليست من ماء وهواء وتراب ونار قال بلى قال أفليس الماء الذي فيها جزء صغير من الماء العظيم الكوني وكذا التراب والهواء قال نعم قال قل لي بحقك هل تخطئ هذا الجزء الصغير الذي لا يعبا به من هذه الموجودات بالعقل

ويحرم هذا الـكون كله منه أو ليس القياس ان الكـل أولى بالعقل من الجزء بل يكون العقل في الصورة الانسانية نسبة الى العقل الكلي كنسبة هذه الصورة الى المجموع العام وهو هذا العالم ثم استطردها بـاجاب العبادة عليه بانه كيف يتنزل الخالق خالقك مع ضعفك ولا يتقبل عبادتك اه المعنى

### ✽ افلاطون ✽

ثم جاء تلميذه افلاطون المولود سنة ٤٢٩ ق.م المائت سنة ٣٤٧ ق.م وقال ان هذه الموجودات التي في عقولنا مطبقة على صور موجودة في عوالم أخرى تسمى (المثل الافلاطونية)

ثم جاء من بعده تلميذه ارسطو من سنة ٣٨٤ الى سنة ٣٢٢ وهو رئيس فرقة المشائين وعسر عليه تلك المثل وانكرها ووصل الى ان لهذا العالم صانعاً حكماً عابداً وقد وصف الله بانه عقل وعاقل ومعتقول ومن اراد ان يعرف عقيدة افلاطون وسقراط في تمجيد الاول وتعظيمه وتقديسه فليتنظر في جمهورية افلاطون التي كتبها على لسان استاذة - سقراط وليتعجب كيف جعل الرؤساء في المدن كأنهم نائبون عن الاول جل وعلا وكيف أمرهم بالزهد وترك الملاذ والبهجة بتلك المعاني الشائقة الرفيعة مما يظله كتب الانبياء عامة وهناك نشأ ايقورس سنة ٢٨٨ ق.م وقال بالذات العقلية والحكمة والحب لا كما يزعم الجهال انه يهيم بالذات الحسية . فقد قرأت في كتاب تاريخ فلاسفة اليونان ما نصه من كلامه ان سائر ما في الكون لا يخلو من احساس وانه مملوء بما لا يدركه الطرف من المخلوقات وكلها متحركة ذات ارواح ومن عجب اني قرأت هذا المعنى

في كتاب الاسفار للقبط الشيرازي على نحو آخر حيث يقول انه لا معنى  
 للوجود بلا ادراك فلا موجود الا وله شعور ما وحياء ما وهو مستمد  
 من الوجود الاول جل وعلا فانظره في الجزء الاول  
 ثم نشأت فرقة الرواقين رئيسهم زينون سنة ٢٦٤ ويقال لشيعته  
 الاسطوأتين ومذهبهم وحدة الوجود فهو من جهة مادة ومن جهة  
 اعقل وهذا بعينه مذهب الهنود كما قرأته في كتاب (راجا بوقا) أي  
 الحكمة التامة وقيل ان هذا بعينه مذهب تاليس ههنا انتهى العالم الانساني  
 الى نهاية الحكمة وارتقى في الاسباب

### ✽ الحالة الثالثة لحي بن يقظان ✽

نظر في أمر الدين والعلم ونفوره من احوال الناس ثم اقراره بعد  
 ذلك ما عليه الناس من دين واجتماع وهذه حالة طائفة الاسكندرانيين  
 ذلك ان الفاسفة بعد ان خضدت شوكة اليونانيين وذهبت ربحهم  
 ومن قوا كل ممزق وعفت آثارهم وخلت دموعهم من مباحث الحكمة  
 والعلم خلف من بعدهم طائفة الاسكندرانيين وهي ذات فروع ثلاثة فرع  
 اسكندري وفرع شامي وفرع اثيني ومذهبهم جعل مذاهب البراهمة  
 والمصريين وقدماء فلاسفة العالم على رأي واحد وملخصه  
 ان الله واحد تصدر عنه هذه العوالم كما تصدر الحرارة عن الشمس وذات  
 الله لا تنقسم وهنا جاء القدم الذاتي والقدم الزماني ويتنازل الوجود من  
 عقل محض الى نفس كلية الى طبيعية الى نفس مجردة الى مادة محضة وهذا  
 بعينه ما أوضحه القبط الشيرازي في كتاب الاسفار فانظره

الحال السابقة للانسان تكون أشبه بحال الرجل الهرم الذي بلغ من الكبرعتياً فأخذ يهذي ويخرف وهذه حال الاسكندر بين ايام بمبليخوس اذ اُحبوا الاطلاع على الغيب وتشوقوا الى خوارق العادات وغرائب المكاشفات واعتنوا بالسحر والطارنم وعلم التصرف بالاسماء والكهانة والنجامة والعزائم كما يهذي الرجل المسن اليهم الهرم وكما نرى الامم عند هرما يصفون للمخرفين ويتفادون للدجالين فانظر كيف قطعت الحكمة اشواطاً لتصل الى غايتها وهي تكبو تارة وتقوم أخرى فكانت طبيعه عند تاليس ومن معه ثم مهذبة عند ديموقراطيس ثم عنديه وعناديه ثم لا أدريه ثم فيثاغوريسيه فانبذ قليسيه فسقراطيه فأفلاطونيه فرواقيه أيها الطالب الذكي هذه صورة عقل الانسان ولوانك بحثت في سائر اجيال هذا الانسان لالفية لا يخلو من مذهب من هذه المذاهب مها كانت محلته فأنت ترى ان مقاله (لابلاس) حلقة من سلسلة الآراء الانسانية تلك الآراء التي بدأت بالمحسوسات والمأموسات ثم انتهت الى موجود غاب عن الايمان لا يدركه الحس ولا يتخيله الوهم الا ان الحقيقة خالصة لا تشوبها المادة قد أقيت الى اناس امتازوا في هذا النوع الانساني وهم أرباب الوحي وهناك وافقت الحكمة الدين

### تذويب

نفس الحي عاشقة للسكان والوقوف على الحقيقة لا يظني شوقها الا ان تعلم حقيقة الوجود وكلما كانت النفس أرقى كانت الى تلك الحقيقة أشوق ولما كان المتوسطون من هذا الانسان هم السواد الاعظم من

المتعالمين في الشرق والغرب التي لهم هذا المذهب الذي لا هو في نهاية  
الكمال والتمام كذهب ارسططاليس وافلاطون ولا هو في مبدأ الحكمة  
كذهب تاليس ومن معه بل تراد انتهى الى الاثير الذي لا يدركه الحس  
ولا يناله الطرق بل هو عالم ارق من هذه المادة عرفه القدماء بالعقل  
وقالوا الافراغ في العالم والافراغ مستحيل وقال المحدثون ان اضواء الكواكب  
لا تصل لنا في عدم محض وكيف يقوم الوجود بالمعدوم فهذا هو الذي  
دار دورات من القدم وجري جرياً كرياً من اقدم العصور فكان منه  
كرات ثم كرات الى اليوم ونما هذا القول وتفرعت عنه فروع كثيرة  
فكان اشتقاق الاقمار من سياراتها كزحل والارض ومنها ما جاء من  
تفسير آيات من القرآن مطابقة للمذهب المذكور هذا ثم لا غرابة في تفسير  
القرآن على هذا النحو فان ذلك تقريب للعقول التي لم تعرف من العلم  
الا ذلك المذهب ولا تظن ان ذلك التفسير يخرج عن كونه احتمالاً  
فحسب وليس أمراً قطعياً وشأن الكتاب السماوي الحق ان يلائم كل  
زمان ومكان وترى علماء الاسلام نهجوا هذا المنهج ولقد اتبعنا آثارهم  
فألفنا كتبنا المنشورة وأبنا مطابقة الطبيعة للقرآن تحقيقاً على نحو آخر .  
فلا يكن في صدرك حرج مما يذكر في التفسير من ذلك فانما هو  
احتمال لا غير

حجج دفع وهم

الحكمة معرفة الاشياء بقدر الطاقة البشرية فكل من هؤلاء الحكماء  
يعد حكماً مهما تباعد عن الحقيقة وحقيقة هذه الكائنات أدق مما

يذكره الفلاسفة وانما يرى كل ما وصل اليه عقله واداه اليه اجتهاده  
(وما أوتيتم من العلم الا قليلا)

وغاية الامر ان الناس شاهدوا مادة خاضعة لحركة تدور بها وتتغير  
لاجلها ورأوا انهاراً جارية وهواءاً يتنفسون به فارجع قوم العالم الى النار  
او النور وبين النار والحركة صلة ونسبة وقد تقرر في الحكمة ان الحرارة  
والدورة في المادة سابقتان لكل صفاتها وأرجعه آخرون الى النور  
وآخرون الى الماء وآخرون الى الهواء ودقق قوم في الوسط وهو  
المذهب الشائع اليوم

لقد أوضحت هذا المقام بحسب الامكان وجمعت لكم زبدة آراء  
العالم الانساني لتعلموا ان العلم ليس قاصراً على مادون في كتب التلاميذ  
وانما تلك لمحة كتبت ليتلها بها الشبان حتى اذا قرؤا عرفوا انه فوق  
كل ذي علم عليم والحمد لله رب العالمين

تم بالاسكندرية ليلة ٢٣ مارس سنة ١٩١٦ بمحرم بك

بجوار المدرسة العباسية الساعة الرابعة

والدقيقة ٣٥ بعد نصف الليل

قبيل الفجر

## تصحيح خطأ

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
الثاقبات	الثاقبات	١٧	٣
ابا	ايا	٧	٤
نطايرت	طايرت	٦	٦
ظلمات	طات	١١	٨
يتكور	بتكرر	١٤	٩
سؤال	سؤل	١١	١١
فليس	فبس	٤	١٣
قاعا	قاا	٧	١٤
مكور	مكررة	٩	١٤
الناربه	الشابه	١١	١٤
عد	عدو	١٧	١٥
تخته	ثمنه	٤	١٦

## اعلان

يطبع بحضرة الشيخ النجيب احمد افندي نبيه كتاباً هاماً في مبادئ  
الفلسفة لحضرة زكريا افندي احمد رشدي خليق بأن يطالاه كل مشغول  
بالعلم . ويطلب من جميع المكاتب

